

# الأمية الوجدانية والعنف

جامعة البويرة

أ. مختار سليم كتاش

الملخص

انفعال الغضب ينسحب قياسا مع الفارق على كل الانفعالات الأساسية الواردة في تصنيف إيكمان.

الأمية الوجدانية والعنف، عنوان يبدو فيه نوع من المجازفة، و الكثير من انجازات العلم مبنية على قفزات نحو المجهول فالذكاء الوجداني باعتباره وعي انفعالات الذات وحسن إدارتها ثم وعي انفعالات الآخرين وحسن إدارتها، حسب تعريف ماير وسالوفي؛ فإن هناك عمليات معرفية ووظائف وجدانية يستلزمها حسن إدارة الانفعالات.

## Résumé :

Cet article traite d'un concept relativement récent quand l'intérêt scientifique porté par les chercheurs dans le domaine des sciences sociales en général, et en sciences de l'éducation plus spécialement, en l'occurrence l'illettrisme Emotionnel et ses applications dans différents aspect de la vie, en exploitant la définition de Mayer et Salovey de l'intelligence émotionnelle, Nous allons essayer d'expliquer le phénomène de la violence par les pulsions des Emotions et leurs effets nocif sur les processus cognitifs, et sur le comportement en général et sur l'apparition, le conditionnement et le renforcement du comportement violent. un constat soutenu par des études qui démontre cette relation logique, comme celle de Ohman et de Zalt et celle de Ekman.

سوف نحاول تبين أهمية الوظائف الانفعالية كمحدد مهم من محددات السلوك العنيف، باعتبار أن هناك تداخلا وتفاعلا وظيفيا بين العمليات المعرفية، والوظائف الوجدانية في إنتاج السلوك عموما، وأن الوظائف الوجدانية تؤثر سلبا أو إيجابا على الأداء المعرفي للفرد، وأن أولى العمليات تأثرا هو الانتباه كما بينت ذلك دراسة أوهمان، وإذا اختل الانتباه اختلت سائر العمليات المعرفية باعتباره الحلقة الأولى وأن سائر العمليات المعرفية. كما أحاول توضيح ذلك بمثال من خلال تحليل انفعال الغضب باعتباره الانفعال الأول الذي يقف وراء سلوك العنف وكيف يؤثر في وظيفتي التقدير والحكم، ثم إن التحليل الذي نقدمه على

**Abstract:**

The main purpose of this article is to tend to make clear the relationship between new concept in psychology, which is Emotional literacy and violence, according to the definition of Mayer and Salovey of the Emotional intelligence. Thus we attempt to make evident relation on a production of behavior and emotions, especially behaviors linked to violence as phenomenon, which is made evident by several studies such as study of Ohman, Zalt and Ekman.

العنف من المواضيع التي أزلت الإنسانية منذ بدء الخلق، والتي لا تتقادم والتي لا تتسنى الإحاطة بها، مهما أوتي المجتمع من وسائل التقدم التقني، ويبقى موضوع الساعة المتجدد في جميع المجتمعات وسائر الثقافات، والذي يحمل معه تحديات جديدة باستمرار لبني الإنسان عبر كل الأزمنة والأمكنة، ما جعل موضوع العنف يكتسي أهمية بالغة لدى جميع المجتمعات وما يؤكد هذه الأهمية بالنسبة لنا كمجتمع مسلم، ورود قصة ابني آدم وهما الأخوين اللذين جسدا الطبيعة البشرية، وإنما قصها القرآن علينا حتى نعتبر ونتذكر، ونجدد النظر في هذه المشكلة المصاحبة للوجود الإنساني، المانعة لكل ارتقاء بل الهدامة لكل بنيان، والمحطمة لكل إرادة خيرة في العمران.

إن المتأمل في مظاهر النشاط البشري، تحصل لديه فناعة مفادها، أن المجتمعات الإنسانية مهما ارتقت في سلم الانجاز الحضاري، إلا أنها لم تستطع أن تتخلص من مظاهر العنف وصوره، بل إن بعضها قد صاحبت أحيانا هذا الانجاز أو ذاك، بل أسست له أو تأسست عليه أحيانا أخرى، ثم يحتفظ به في زاوية بعيدا عن الاهتمام العام إلى الاهتمام الخاص، في شكل مؤسسات اجتماعية أو رسمية، قصد تنميته وتقويته، وليتخذ احتياطا لازما للحفاظ على تلك الانجازات، ويصدق هذا ما نراه في جل الحضارات التي قامت عبر التاريخ إلى يومنا هذا، إذ هناك مشاريع عسكرية ضخمة، وأموال طائلة تصرف من أجل الحفاظ على التقدم العسكري، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ظاهرة العنف كسلوك سواء كان فرديا أو جماعيا هو سلوك ينبع من الطبيعة البشرية، وهو قرين حاجة إنسانية حيوية، وهي الحاجة إلى الشعور بالأمن على الذات أو على المكتسبات. وعليه فكلما شعر الإنسان بأنه مهدد في مصلحة ما أصبح عنيفا، بل إن ذلك يتناسب طرديا مع درجة حيوية المصلحة المهددة. فالعنف باعتباره قوة دافعة تحرك الإنسان للحفاظ على مصالحته، أو لدرء مفسدة قد تقع عليه أو على ممتلكاته، أو على أي شيء مهم بالنسبة إليه، إنما هي أصل لاستمرار الحياة، ولا تنفك عن كونها خصلة من خصال النفس البشرية، كما قرر ذلك القرآن الكريم " ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت السماوات والأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين." (البقرة:251)

فالإنسان يحتاج إلى استخدام العنف أحيانا، من حيث هو وسيلة يحافظ بها على حياته، ويحتاج إليه المجتمع كذلك لكي يحافظ على نموه واستمراره واستقراره، بل هو ضروري في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، حتى يتعلموا منطق الاستحقاق، ويتعلموا الالتزام بالحدود الاجتماعية، وحتى يندمجوا ويتكيفوا بنجاح مع مختلف المواقف في الحياة الاجتماعية وحتى يتمثلوا منطق الالتزام بالواجبات وكيفية المطالبة والحصول على الحقوق<sup>1</sup>. وهذا ما نلاحظه خلال تفاعل الأطفال فيما بينهم في السنوات الأولى من نموهم، ويتضح المشهد أكثر تدريجيا خاصة مع دخول الطفل إلى المدرسة، ولا نجد عناء للاستدلال على ذلك، إذا وقفنا لملاحظتهم خلال فترات الراحة في ساحة المدرسة، إذ تبدر من الأطفال مجموعة من السلوكيات العنيفة، اللفظية والجسدية، لكنها لا تثير ردعا ولا عقابا من قبل المربين والمعلمين إلا نادرا، لأنها وبكل بساطة ضرورية ليتعلم التلاميذ قواعد الحياة الاجتماعية في المدرسة، قبل الالتحاق بمؤسسات المجتمع في سن الرشد. وعليه فإن مظاهرها استخدام العنف ضمن الأطر القانونية والمشروعة أكثر من أن تحصى، والدليل على ذلك ما تعده وتجده جميع المجتمعات من قوى لحفظ النظام العام، باعتبارها أضمن وأمن وسائل الضبط الاجتماعي، للحفاظ على مؤسسات المجتمع من التنافر والتناحر والتفكك و ما تنفقه كذلك سائر دول العالم على جيوشها من إعداد وإمداد، وسائر الاستثمارات في المجال العسكري، يقينا منها بأنه الدرع الوحيد الذي يضمن حماية مصالحها الإستراتيجية، إن هددت من الخارج وهو ما يسمى في عرف العلاقات الدولية بالسلم المسلح.

فالعنف بهذا الاعتبار، أي القوة الدافعة للحفاظ على مصلحة أو لدرء مفسدة متحققة، سلوك طبيعي وعادي لدى الإنسان، فردا كان أو جماعة أو مجتمعا أو دولة، وهذا التقرير إنما يستند إلى استقراء حوادث التاريخ لسائر الأمم، بل هو استنتاج متاح لكل ملاحظ حصيف النظر، حتى في الحوادث التي تجري بين ظهرانينا اليوم عبر العالم. غير أن التحدي المفروض اليوم على المجتمعات، وما يؤرق أصحاب التشريعات ويجعل من العنف سلوكا إشكاليا، هو عدم تناسب العنف من حيث شدته وحدته ومدته وطريقته ونوعه ومن يقوم به، مع الحدث الذي كان سببا في إنتاجه، أو مع الموضوع

<sup>1</sup> Maurice J. ELIAS and AL. promoting social and Emotional Learning guidelines for Educators.

الموجه إليه، أي تجاوز القدر في اعتبار تحقيق المصلحة والحفاظ عليها، أو دفع المفسدة أو الخطر المحدق بمن يقوم به. ومن المعلوم أن السلوك إنما يكون نتيجة تضافر وتفاعل مجموعة من العمليات الحسية والسيورورات والمعالجات المعرفية و الوظائف الوجدانية، ويكون هذا التفاعل مبنيا على أساس سابق خبرة بالموضوع في الغالب، وعليه فالعنف كسلوك ينتج أو على الأقل تزداد فرص ظهوره كلما أدرك المرء أن شيئا ما يهدده في شخصه، أو بزوال مصلحة أو حلول مضرّة مادية أو معنوية.<sup>2</sup> المشكلة أن الضرر الذي يخلفه العنف تحت وطأة الانفعال في الغالب، أكثر بكثير من الضرر الذي أريد دفعه به، أو قد يؤدي إلى نتائج تنسف بالمصلحة المبتغاة أو المراد الحفاظ عليها، إلى درجة أن الإنسان الذي سلك سلوك العنف يندم عموما على ما فعل، وما ينفع الندم إذ ذاك، لأن الواقع والمجتمع يحكم عليه بالمسؤولية. ومنه توجب البحث عن الوسائل والآليات التي تعين الإنسان على تفادي أضرار العنف على نفسه وعلى غيره، وهل مجرد الشعور بالتهديد يخول له استخدام العنف، وكيف يمكنه التخلص من وطأة الانفعالات أو التخفيف منها باعتبارها الدافع وراء سلوك العنف؟

### السياق العالمي والمحلي :

إن العالم أصبح قرية صغيرة كما يعبرون، بل بيتا واحدا مع هذا التسارع التكنولوجي، وعليه فإنه من غير المتاح عقلا ولا مستساغ منهجيا أن نتناول مشكلة بهذا الحجم بمعزل عن السياق الذي توجه إليه الأحداث في هذا الزمان إن على المستوى العالمي أو الإقليمي أو على المستوى الوطني.<sup>3</sup>

وعليه فعندما يشاع استخدام السلاح بين الناس فإن ذلك من شأنه أن يكون مسوغا لاستخدام العنف وتوظيف السلاح بأنواعه في حل أدنى النزاعات في المجتمع بل حتى في الأسرة الواحدة أحيانا. لقد أصبحنا اليوم نرى أن هناك تجنيدا للكثير من

<sup>2</sup> باولو فرايري، تعليم المقهورين. ترجمة يوسف نور عوض.

<sup>3</sup> أهيب بالعلماء في سائر العلوم الاجتماعية والإنسانية، أن يفكروا في تأسيس تخصصات علمية تتبنى النظرة الشمولية أو المركبة، ولقد بدأت بوادر حسنة تستحق التشجيع، وتتمثل في إنشاء تخصص علم النفس العبر ثقافي (la psychologie transculturelle)، والذي كان بقيادة هنري ترواداك في فرنسا و السباعي في المغرب، كما ظهرت بعض المبادرات هنا في الجزائر، إذ عقد ملتقى دولي في جامعة البليدة (2) في 2015 تحت عنوان "علم النفس العبر ثقافي".

الوسائل التكنولوجية وخاصة وسائل الإعلام، والتي تمرر من خلالها رسائل ضمنية لا واعية (-messages subliminaux-) لغرس وترسيخ مشروعية العنف بل والحرب، وأن هناك إمكانية التسلي حتى بالعنف من خلال الأفلام و الرسوم المتحركة و الألعاب المختلفة الفردية والجماعية خاصة الألعاب الإلكترونية على شبكة الانترنت، التي توظف العنف بكل أشكاله ووسائله ومستوياته، ما من شأنه أن يجعل قنوات تتسلل ثم تتأسس ثم تستقر وترسخ لدى الطفل من حيث لا يشعر ولا يعي، إذ يقتنع بأنه لا مناص له من توظيف العنف في تسوية النزاعات وإن كانت بسيطة، بل لا بد من استخدامه وإلا فسوف يتلعه الآخرون اعتقادا منه أننا نعيش في عالم شرس، وأن عدم استخدام العنف يسند إلى الجبن والخوار، متجاهلا أو متناسيا منظومته القيمية التي تعلمه أنه " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". هذا التأثير المعرفي يدعمه الواقع الاجتماعي المحلي ابتداء من الأسرة التي تبقى سلبية في أحسن الأحوال، إن لم تدعم هي بدورها سلوك العنف لدى أفرادها ببعض المقولات التي أصبحت تتداول كأنها حكم هذا الزمان (لازم اتكون ذيب لا ياكلوك الذيابة)، كما تدعمه جماعة الرفاق بما توفره من مساحات الحرية والحماية، ومن مكانة القيادة للأعنف من أفرادها وبما تلبس الأعنف منهم بلباس البطولة والشجاعة، وشتى أنواع الامتيازات المادية والمعنوية والتعزيزات الاجتماعية، ما يحول الطفل أو المراهق على الأخص يعيش في المجتمع بمسوغات السباع، لا يرقب حرمة ولا يراعي حقا ولا عرفا ولا قانونا، ويتحول إلى شخص شرس يتريص شرا ومكرا من أجل قضاء مصالحته، ولا يهيمه في ذلك لومة لائم ولا حتى سطوة حاكم، يفعل ذلك ولسان حاله يقول "أنا وبعدي الطوفان". إن هذا الجو المشحون من شأنه أن يجعل الطفل فريسة لانفعالاته، ومن ثم لا يجد سبيلا إلى استعادة توازنه إلا بتفريغ تلك الشحنات الهدامة، وسوف لن يتوانى في اقتناء أكثر الوسائل هدمًا للإنسان وللعمران، أي استخدام السلاح بكل أنواعه، ولا يهيمه حتى أن يدفع أموالا طائلة لذلك الغرض ولو بالسرقة أو بقطع الطريق والسطو على ممتلكات الغير أو ببيع المخدرات، وهو تجسيد واضح للعلاقة مع عروض و مشاهد أفلام الهوليوود أو ألعاب "play station" ما يجعل من الأطفال والمراهقين بصفة أخص مستهلكين أوفياء لأدوات الحرب ومشتقاتها "consommateurs"

fideles des produits de guerre et dérivés " 4 مع العلم أن الطفل قبل سن العاشرة يخلط بين الحقيقة أو الواقع الذي يعيشه وما يتمنى أن يعيشه. فرغم شرح الآباء والمربين أن ذلك مجرد تمثيل سينمائي أو رسوم متحركة ليست حقيقة، أو مجرد لعبة إلا أنها تمثل رصيذا للخبرة المرعبة اللاشعورية التي سيوظفها الطفل لمعالجة وفهم و السلوك إزاء خبرة حياتية جديدة، وإلا كيف نفسر بكاء الطفل عندما يخسر في اللعبة، وغضب المراهقين بل حتى الشباب إذا خسر في لعبة ما خاصة في سياق تنافسي، فهو يتخذها مرجعا من دون أن يشعر لأنها تندمج في مجموع خبراته على قلبها، كما بينت ذلك دراسة إيثا شتاين على أطفال دور الحضانة، فقد عرضت مجموعة من الأطفال 20 دقيقة يرون فيها رسوم متحركة تحتوي سلوكيات عنيفة ثلاث مرات في الأسبوع لمدة شهر كامل فوجدت أن درجة الميل إلى السلوك العدوان وممارسة العنف على الآخرين قد ارتفعت بشكل ملحوظ بالمقارنة مع الأطفال الذين لم يتعرضوا إلى هذه الرسوم.<sup>5</sup>

وعليه بفعل التعرض المستمر لهذه الخبرات، تصبح فكرة استخدام العنف فكرة عادية ومستساغة ومع تكرار و ألفة مظهرها بل وتواطئ المجتمع أحيانا على عدم الوقوف في وجهها بمختلف الوسائل و الآليات المتاحة، يصبح العنف الخيار الوحيد لحل جل النزاعات مهما كانت بسيطة، ذلك أن تضاؤل خبرة أفراد المجتمع في حل مشكلاتهم يوما بعد يوم لا يتيح خيارات أخرى أنفع وأنجع، و يرسخ قناعة مفادها أن العنف هو الحل الأمثل، وسيصبح العنف شيئا فشيئا قيمة اجتماعية، و الخطورة في مثل هذه التغيرات أنها سوف تجهز يوما بعد يوم على منظومة القيم الاجتماعية، و يصبح القوي هو النموذج الاجتماعي الذي يُحتذى به، و يصبح الحق مع الأقوى، فيستبطن الناس هذه القيمة و يتمثلونها، و سوف يجدون في أنفسهم مسوغا يسمح بل ويحرض على التعامل مع الناس بهذا التصور ووفق مقتضى هذا المنطق الجديد، بل سوف يعززون ذلك بتربية أبنائهم وفق ذلك التصور، وإذا دخلت التربية حليفا لأي فكرة حكمت على نظيراتها بالهلاك المبين، وحسنت بذلك المعركة لصالح من تحالفت معه،

<sup>4</sup> Baudier & B. Céleste. Le développement affectif et social du jeune enfant.

<sup>5</sup> Alain Berthoz. L'empire caché de nos émotions. Science et vie N°232

ومثاله أن يقابل الانتصار في مشاجرة بين الأطفال بالرضا أو الموافقة أو المكافأة من الأولياء أو المرين، فيتسلل العنف إلى الأسرة التي كانت قبل ذلك الملاذ الآمن لقيم السلم والاطمئنان والسكن النفسي لجميع أفرادها.<sup>6</sup> ومن صور دخول العنف إلى الأسرة، أن يضبط الأب سلوك أبنائه بالضرب أو الكلام الجارح فإن ذلك من شأنه أن يزيد في تشجيع المنزلق نحو العنف لدى الأبناء و استعمال نفس الوسيلة إذا واجهتهم أدنى مشكلة، فهو يوفر لهم فرصة ذهبية للتعلم بالملاحظة أو التقمص و التقليد والتي تعتبر من التعلّيمات الاجتماعية الأكثر رسوخا في شخصية الطفل، والتي سوف يصطحبها الطفل خلال جميع مراحل حياته، إذ يتبنى هو بدوره سلوك العنف كآلية يحل بها كل نزاعاته مع الآخرين، حسب نظرية التعلم الاجتماعي ألبرت باندورا (Bandura). فكيف السبيل إلى التخلص من هذه الدوامة؟

سوف نحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال تحليل العلاقة الوظيفية بين السلوك والانفعالات.

### علاقة السلوك بالانفعالات

إن معادلة السلوك العنيف لا تنفك عن المعادلة العامة التي تضبط السلوك الإنساني عموما، وهي أن السلوك إنما هو نتيجة لتفاعل العمليات المعرفية فيما بينها وتفاعل الوظائف الوجدانية فيما بينها وتفاعل مجموعة من العمليات المعرفية والوظائف الوجدانية فيما بينها وبالطبع هذا التقسيم أو التمييز هو تمييز منهجي قصد تيسير الفهم والإيضاح ليس إلا، وإنما الحقيقة أن هذه العمليات والوظائف تعمل في تداخل مستمر بحيث لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، غير أن هذه الورقات لا تركز في تحليل ظاهرة العنف على العمليات المعرفية، إذ حظيت هذه الأخيرة باهتمام كبير على الأقل من حيث البحث العلمي إذا قارناها بالوظائف الوجدانية، والتي توضح اهتمامنا هنا ومدخل التعامل مع ظاهرة العنف، ذلك أن الوظائف الوجدانية تؤثر على العمليات المعرفية وقبلها على العمليات الحسية وبالتالي على إدراك العالم الخارجي ثم

<sup>6</sup> د. جنسون و. ر. جنسون. التعليم الجماعي والفردي، التعاون والتنافس والفرديّة. ترجمة، رفعت محمود بهجات.



على إنتاج السلوك كما بينت ذلك دراسة أرن أوهمان<sup>7</sup>(A.Ohman,2005) ودراسة أنتونيو داماسيو(A.Damasio,2010)<sup>8</sup>؛ حيث أن الإنسان يتأثر بالمواقف الحياتية وجدانيا قبل الدخول في التعامل معها معرفيا، وذلك من خلال الأثر الذي تتركه على الحواس ثم على الانتباه وإذا تأثر الانتباه تأثر سائر الوظائف المعرفية باعتباره الحلقة الأولى في العمليات المعرفية، وأن الانتباه هو الذي يزود الإنسان بالمادة الأولية حول الموضوع لتسنى له التعامل معه، فإذا خاف الإنسان أو غضب أو حزن أو شعر بالقرع، أو الاحتقار أو بالتهديد أو تعجب من شيء أو انتابه شعور بالفجأة، فإن ذلك الحدث أو الموضوع له الأولوية في التعامل مع إهمال سياقه أو ظروف إنتاجه وأسبابها أو عواقب سلوكه، ذلك أن ميزة الانفعالات أنها تضغط على الإنسان لكي يفكر ويتصرف بطريقة تجعله يغفل العواقب بل لا تتبادر إلى ذهنه، فالانفعالات تهيمن على العقل وتستحوذ على الانتباه على حساب كل الواجبات والاعتبارات، وأنها تفرض على الإنسان الأولوية في توزيع الطاقة، والانتباه وتنفيذ السلوكات وكأنها أوامر، دون الاكتراث بالعواقب. يرى فريجا (N.Fridja,2003)<sup>9</sup> في هذا السياق، أن الانفعالات تهيمن على التفكير وتستأثر بالانتباه وتصرفه عن الواجبات الأخرى، بل تحجب عن العقل التجاوزات التي قد تنتج عن الاستجابة الآنية واللامشروطة للانفعالات، إنها تفرض على الفرد التعامل معها باعتبار أن لها الأولوية في صرف طاقة النفسية عموما، وتوجيهها إلى الانتباه وإلى إدراك موضوع الانفعال ومقتضياته المعرفية ومقتضياته السلوكية، إنها تفرض على الفرد تنفيذ الأفعال بصفة لا تقبل التأجيل.<sup>10</sup> ما يستلزم منه التعرف على هذه الانفعالات بل والوعي بها، وتوظيف كل ما يعنيه على فهمها وحسن التعبير عليها ثم حسن التعامل معها وإدارتها، بما يحقق له أهدافه عموما، أو على الأقل ما يمكنه من التكيف مع المواقف الاجتماعية، قبل أن يقع فريسة لها.

من المعلوم من حيث الدلالة اللغوية، أن هناك فرقا شاسعا بين اسم الفاعل لفعل "غضب" وصيغة المبالغة، فالغاضب كلمة تدل على اسم الفعل يصدر من

<sup>7</sup> D.Chabot , M.Chabot. PEDAGOGIE EMOTIONNELLE ressentir pour apprendre.

<sup>8</sup> Antanio Damasio. l'erreur de Descartes, raison des émotions.

<sup>9</sup> Nico Fridja. Envahi par les Emotions. revue des sciences humaines, n°143,

<sup>10</sup> ياسر العبيتي. الذكاء الوجداني.

صاحبه، أي هو المتحكم في الفعل، بينما تمثل كلمة "غضبان" صيغة المبالغة، وعليه فقد صار الفاعل في حكم المفعول به، ولذلك ورد في الحديث " لا يقض القاضي وهو غضبان"، أي أن القاضي إذا بلغ به الغضب مداه فقد القدرة على الحكم الموضوعي، أي أن عملياته المعرفية لم تعد قادرة على الترجيح والنظر الصحيح للقضايا والأحداث، بل قد اندمج في المشكلة إلى درجة أنه أصبح جزءا منها، فلم يعد يملك القدرة في التعامل مع القضية باستقلالية عن ذاته، وعليه فإن كل إنسان يقع تحت وطأة الانفعالات تضعف كفاءته المعرفية، ولا بد أن يكون على وعي تام بذلك، وإلا ارتكب أخطاء فضيعة، وقد يكون ضررها كبيرا على نفسه وعلى الناس.

إن أول من وضع تصنيفا للانفعالات الأساسية لدى الإنسان هو إيكمان (Paul Ekman 1970)، ويرى أن جميع بني الإنسان يشتركون فيها، ولقد توصل إلى هذا التصنيف بعد رحلة طويلة عبر العالم، لكي يلاحظ تجليات هذه الانفعالات والسلوكات المصاحبة لها في الثقافات البدائية ويصل إلى قائمة من القواسم المشتركة بين جميع الناس، وحاول ألا يكون عامل اللغة عاملا مؤثرا فيها، أو سائر العوامل الاجتماعية والموروثات الثقافية، أي لا ينبغي أن تتأثر بالتعلمات والمكتسبات الاجتماعية، ما جعله يذهب إلى أدغال إفريقيا الوسطى، فقام بملاحظة مجموعة من القبائل، ثم توجه إلى أستراليا وقام بملاحظة قبائل "الأبوريجان" وقبائل أخرى في جزر "أندونيسيا"، إلى أن خلص إلى قائمته المشهورة والمعتمدة اليوم في الولايات المتحدة والتي تضم سبعة انفعالات أساسية هي: الخوف والغضب والحزن والاشمئزاز والمفاجأة والسعادة والاحتقار، وهذه الانفعالات تؤثر على العمليات المعرفية بحسب شدتها وعلى رأسها الانتباه ثم الإدراك ثم الحكم، وقد أكدت ذلك دراسة أوهمان (Arne Ohman)، إذ لاحظت أن الإنسان يستغرق وقتا أقل للتعرف على ثعبان بين أزهار من وقت التعرف على زهرة وسط مجموعة من الثعابين، وهذا شيء فطري لأن الخوف ضروري لحمايتنا من الأخطار. هذا الاستنتاج يصدق كذلك على سائر مجالات الحياة الاجتماعية، فقد وجد ذات الفريق أن الأفراد يتعرفون على 45% من الأوجه البشوشة من بين الأوجه العادية أو المحايدة في حين يتعرفون على 60% من الوجوه العدوانية من بين الوجوه المحايدة.

كما قام زالت (David Zalt,2005) بدراسة في هذا السياق وبين أن الانفعالات تؤثر على القدرات المعرفية في معالجة المعلومات، حيث قام بعرض مجموعة من الصور العادية ثم عرض صورة مائلة وسط صور عادية، فوجد أن 86% من أفراد العينة يتعرفون على الصورة المائلة، أما إذا عرض صورة تمثل انفعالا قبل الصورة المائلة فإن ثلث الأفراد لا يستطيعون التعرف على وضعية الصورة المائلة<sup>11</sup>. إذن هناك تقرير بتأثر العمليات المعرفية بالانفعالات، ومن المعلوم أن الإنسان عندما يسلك وهو متفعل إنما يرتكب زلات قد تؤدي إلى هلاكه أو إلى أضرار بالغة به أو بغيره بحسب السياق الواردة فيه وعليه فإنه من المفيد أن يتصرف الإنسان وهو على وعي تام بانفعالاته، حتى يتسنى له التحكم في سلوكاته و معرفة عواقبها. لكن كيف سبيل إلى ذلك؟

يقول جولمان في هذا السياق: "إنني لا أستطيع أن أقرر متى أغضب لكنني مسؤول أمام سلوكاتي الناتجة عن غضبي، لأنني أستطيع التحكم في ذلك"<sup>12</sup>

### الكفاءة الوجدانية والأمية الوجدانية:

في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات ظهر هناك مفهوم جديد في ميدان علم النفس وهو مفهوم الذكاء الوجداني والحقيقة أن الفضل يرجع إلى ثورنداك في نهاية الخمسينات من القرن الماضي عندما أشار إلى ضرورة اعتبار الوظائف الوجدانية في السلوك الإنساني ثم إلى جاردنر (Howard Gardner) في بداية الثمانينات، ثم إلى ماير و سالوفي في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات ثم إلى جولمان (Goleman) في عام 1995 والذي بسط وأشاع استخدامات الذكاء الوجداني في أوساط كثيرة خاصة المهنية منها، غير أن أول من وضع تعريفا واضحا لمفهوم الذكاء الوجداني هما سلوفي و ماير إذ يعرفانه بأنه " القدرة على وعي عواطف الذات وحسن إدارتها والقدرة على وعي عواطف الآخرين وحسن إدارتها"<sup>13</sup>. وإذا توقفنا قليلا مع هذا التعريف، نجد أن هناك مقتضيات وأبعاد معرفية ووجدانية يتضمنها هذا التعريف وهي أبعاد رئيسية وكل بعد تندرج تحته أبعاد فرعية كالآتي:

<sup>11</sup> D.Chabot , M.chabot.opcit

<sup>12</sup> D.Goleman and al. L' intelligence émotionnelle au travail.

<sup>13</sup> John D. Mayer, & Salovey,P. Emotional intelligence and the construction and regulation of feeling.

1- وعي عواطف الذات وحسن إدارتها: حتى يكون المرء واعيا بعواطف عليه أن يكون قادرا على حسن التعبير عن انفعالاته، فقد يكون تعبيره عن انفعاله مبالغاً فيه أو لا يصلح المستمعين بما يتفق مع شعوره، بحيث لن يفهموا انفعالاته ولن يكونوا حساسين لما يعانیه. فلا ينخرطون معه عاطفياً، وعليه لا يفهمون تصرفاته إذ هو يتصرف بمقتضى انفعال لم يفهمه وسوف يكون رد فعلهم بمقتضى جهلهم أو سوء فهمهم لشعوره، وبطبيعة الحال سوف لن يوافق رد فعلهم ما ينتظره منهم فيخيب ظنه فهمهم، وسوف يغضب لذلك وقد يولد الغضب سخطا لديهم فيغضبونهم بدورهم لغضبه. ولكم أن تتصوروا حجم المشكلات السلوكية التي يفرضي إليها الغضب، ابتداء من التدابير والإعراض إلى التنافر وانتهاء إلى العنف اللفظي أو الجسدي أو قد يصل حتى إلى الإجمام.<sup>14</sup>

هذا وقد يكون المرء تحت وطأة الشعور بانفعال ما، إلا أنه غير قادر إطلاقاً على التعبير عنه، إما لخلل في العمليات المعرفية أو اللغوية أو هما معاً، وإما لخلل قد يصيب الوظائف الوجدانية التي تمكن الفرد من التعرف على طبيعة ما يشعر به، فيصاب بالعجز عن التعبير، وهذا مرض يعرف باسم "الألكشثيميا"<sup>15</sup> (Alexithemia)، وهو عدم القدرة على التعبير بوضوح على الانفعالات بما يجعل الآخرين يفهمون معاناة الفرد، فيصاب الفرد بالخرص أي عدم القدرة على النطق بتاتا، أي أنه لا يستطيع أن يعبر عما يشعر به، أو أن يصاب بتأتأة ظرفية أي مرتبطة بالتعبير على انفعال معين، أو كأن يختلط عليه انفعال الحزن والغضب، فيعبر بتعابير الغضب لفظاً أو سلوكاً لكنه يريد أن يوصل إلى الناس رسالة الحزن ليتعاطفوا معه. والذي لا يعرف أن يوصل للناس ما به يشعر لا يمكنه أن يبني علاقات إيجابية معهم، فهو من جهة يلومهم عن عدم فهمهم وتفهمهم لما يشعر به وهم من جهتهم لا يجدون أية رسالة مفهومة يتعاملون معه وفقها فتحدث القطيعة، وهذا ما نلاحظه جيداً عند الصم البكم وما يظهر لديهم من سلوك عنيف تجاه العاديين، وذلك أن الأصم الأبكم يريد إقامة علاقة مع الناس باعتبار دافع ضرورة الاجتماع (الإنسان اجتماعي بطبعه) لكنه لا يملك الأداة التي بها

<sup>14</sup> Marc A. Brackett, John Mayer and Rebecca M. Waner. Emotional Intelligence and its relation to everyday behavior.

<sup>15</sup> D.Goleman,opcit

يقيم هذه العلاقة، فيدخل بلغة الإشارة التي لا يفهمها منه الإنسان العادي، وعندما لا يفهم يطلب المزيد من الشرح والتوضيح فيحاول الأصم الأبكم أن يتكلم فتخرج أصوات لا معنى لها مما يجعل الإنسان العادي ينصرف عنه بل ويلحقه بالمتخلفين عقليا وهذا ما يثير غضب الأصم الأبكم لأنه يرى في تصرف العادي احتقارا له فيثور عليه. أو إنه يفضل الانطواء على ذاته والابتعاد على الناس، وشيئا فشيئا يدخل في دوامة لوم الذات ثم إلى احتقار الذات، وقد يصل ذلك إلى حد الانتحار وهو أقصى صور العنف الموجه نحو الذات. وفي هذا السياق يقول كارو ياماماتو: "إن احترام الآخرين لا ينمو في تربة احتقار الذات"<sup>16</sup>

هذا إذن بالنسبة للمقتضى الأول في البعد الأول وهو التعبير الانفعالات، غير أن التعبير لن يتأتى إلا بعد حسن فهم الانفعالات، فيفهم ما الذي وقع له أو عليه وما سبب ذلك، فلا ينبغي أن يخلط المرء بين مشاعر الحزن والغضب مثلا، ففي الكثير من الأحيان يريد الإنسان أن يعبر عن حزنه لشيء فقده أو افتقده، وعندما لا تتناسب عباراته مع شعوره ولا يفهم منه ما يعانيه أو ما أراد تبليغه للآخرين، يتحول إلى شخص شرس غاضب ساخط على كل إنسان، وقد يقبل على ارتكاب سلوك العنف انتقاما أو تفريفا لشحنة الغضب. وإذا لم يحسن الإنسان فهم انفعالاته، كان ذلك أدعى ألا يحسن التعبير عليها بشكل صحيح، وذلك من شأنه أن يؤثر على حسن إدارته لها، وعليه فإما أن يستسلم للمعاناة وينغلق على نفسه ويدخل في دوامة من الانعزال المغذى بسوء الظن في الآخرين، وإما أن يدافع على مصالحه الحيوية ضمن محيطه الاجتماعي بأن يحاول أن يهيمن عليه بكل الطرق، وسوف يؤدي به ذلك إلى الوقوع في صدامات مع الآخرين، وهو ما يبرر له العنف حسب نظره، فتتقلب أفعاله عليه ويبدأ فصلا آخر من المعاناة النفسية والاجتماعية، ويبدأ الصراع مع وخزات الضمير والشعور بالذنب، زائد تحميله المسؤولية الاجتماعية والأخلاقية أو حتى القانونية، التي تنتهي في الغالب أمام المحاكم أو وراء القضبان.

<sup>16</sup> كتاش مختار سليم. مفهوم الذات وعلاقته بالتفاعل الصفي اللفظي.

2-وعي عواطف الآخرين وحسن إدارتها:

إن الإنسان اجتماعي بطبعه وعليه فهو يميل إلى الالتقاء والتفاعل مع الآخرين، غير أن هذا التفاعل تكتنفه أحداث وهذه الأحداث تنتج مجموعة من الرسائل المعرفية والوجدانية هي التي تقرر مصير العلاقات الاجتماعية، فإذا كانت هذه الرسائل مفهومة وواضحة سهل على المرء التفاعل بمقتضاها، أما إذا كانت غير مفهومة أو غير واضحة أو أحيانا تتضمن مؤشرات كثيرة تدل على التجاهل والإعراض، فإن ذلك من شأنه أن يكون إيذانا بنهاية العلاقة مهما كانت حميمة من قبل هذا في أحسن الأحوال، وإلا تحولت إلى علاقات جديدة لكنها تحت عنوان العداوة والافتراق وعليه فإن الإنسان ملزم بدافعه الفطري أن يقيم علاقات إيجابية مع محيطه الاجتماعي لكن إقامة هذه العلاقات واستمرارها واستقرارها ونموها تقتضي حسن فهم عواطف وانفعالات الآخرين بل ومساعدتهم على حسن التعبير عنها وفهمها ومرافقتهم لحسن إدارتها، ودون التمكن من هذه المهارات مجتمعة لن يتمكن الإنسان من إقامة علاقات مستقرة ومستمرة ومثمرة مهما أوتي من كفاءة في الجوانب المعرفية، ولنا أن ننظر حولنا في الحياة الاجتماعية لنجد الكثير من الحالات التي هذه القاعدة؛ إذ نجد مثلا من الناس من تبوء مكانة اجتماعية مرموقة، ما يدل على كفاءته المعرفية العالية واستحقاقه لها، لكن نجده في المقابل لا يتمتع بسمعة جيدة بين زملائه في العمل بين الموظفين الذين يقعون تحت مسؤوليته، أو قد تجده غير ناجح حتى في حياته الأسرية، وقد يعيش جحيما في بيته وهو لا يعي بأنه هو من أوقد فتيله أنه هو من يغذيه ويذكيه بتصرفاته وفي المقابل يلقي باللائمة على الآخرين.

إنه من الطبيعي أن يتعرض الإنسان لمواقف تثير الغضب، لكن لا ينبغي أن يغضب الفرد لأي سبب وعلى كل الأشخاص أو يعبر عن ذلك بأي طريقة، وهنا نتحدث عن المهارة الذاتية في مقاومة الاندفاع، فهي أصل التحكم في الانفعالات، مادامت الانفعالات هي المحرك الذي يدفع نحو القيام بفعل دون آخر. وتعود صعوبة التحكم في ردود الأفعال وضبط النفس، إلى أن كل إنسان يمتلك دماغين، الأول هو الدماغ المسؤول عن الجانب الانفعالي، والثاني هو الدماغ المسؤول عن الجانب المعرفي المنطقي، وأن أغلب المثيرات التي نتعرض لها تمر أولا بالدماغ الانفعالي ثم تذهب إلى

الدماغ المنطقي، ويمكن أن ينقطع الارتباط بين الدماغيين، فتدفعنا انفعالاتنا إلى القيام بسلوكات نندم عليها في الغالب.

يتبين من هذا أن تحرر الإنسان من وطأة الانفعالات وحفاظه على علاقات جيدة مع محيطه، يقتضي أن يتحرر من ربة أميته الوجدانية على حد تعبير نانسي جراهام (Nancy Graham) والتي من مظاهرها:

- 1-عدم وعي عواطف الذات.
- 2-عدم القدرة على فهم عواطف الذات.
- 3-عدم القدرة على التعبير على عواطف الذات.
- 4-عدم القدرة على حسن إدارة عواطف الذات.
- 5-عدم وعي عواطف الآخرين.
- 6-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على فهم عواطفهم.
- 7-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على التعبير على عواطفهم.
- 8-عدم القدرة على مساعدة الآخرين على حسن إدارة عواطفهم.
- 9-عدم القدرة على فهم الرسائل الوجدانية للآخرين (خاصة الأطفال والفئات الضعيفة؟!).
- 10-عدم القدرة على نقد عواطف الذات. وعدم تقبل انتقادات الآخرين الموجهة إلى انفعالاته. كأن يببالغ فرد ما في الشعور بالحزن أو الغضب أو أي انفعال آخر، وقد يعبر عنه بتعابير غير مقبولة اجتماعيا، كأن يعبر عن السعادة بالفخر والتكبر.
- 11-عدم القدرة على نقد عواطف الآخرين، فقد يحصل من القرب والاندماج بين الأفراد ما يجعل العمليات المعرفية تتعطل بل عاجزة عن تقديم أي انتقاد لصديقه.

كل ذلك له أثر سلبي على الصحة النفسية للفرد وعلى توافقه النفسي والاجتماعي، ثم على تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسات الاجتماعية وعلى العلاقات بين المؤسسات أو حتى بين المجتمعات. ولعل أوضح مثال على هذا المقال، ما نلاحظه من مظاهر العنف الشائعة والمتزايدة بين الزوجين وهي مشكلة تعاني منها جل المجتمعات اليوم، والتي تنتهي في الغالب إلى الطلاق، هذا بعد أن كانت العلاقة من أو الصلات باعتبار قدسيتهما في أغلب المجتمعات، ومع ذلك حالت الانفعالات دون استمرارها، كل ذلك بسبب عدم وعي الانفعالات وعدم فهمها وسوء التعامل معها وعدم الكفاءة في تسيير وإدارة الانفعالات سواء صدرت من هذا الطرف أو ذاك.<sup>17</sup>

إن الذي يجهل عواطفه وعواطف غيره أو يتجاهلها، بالإعراض أو التكبر فإن مصيره إلى الهدم ونعني بالهدم كل صور هدار طاقات الذات وطاقات الآخرين، وكل مظاهر التخريب وإلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالذات أو بالآخرين، والحال على ما سبق الوصف، فإنه لن يقوم للإنسان فرداً أو مجتمعاً عمران، وعليه كيف يمكن أن نرأب الصدوع والأضرار التي يتسبب فيها الإنسان بما يسلك، من جريرة قوة الانفعالات الجارفة؟

### الوقاية من الانفعالات:

إن الوقاية خير من العلاج، وليس هناك وسيلة أنفع ولا طريقة أنجع من التربية باعتبار التربية تنظيم مستمر من الخبرة هدفه تعميق محتواها الاجتماعي وتوسيعه في حين يهضم الفرد الوسائل الملائمة لاكتساب هذه الخبرات ويتمثلها.

فالتربية عملية إنسانية هادفة، تقوم على تزويد الإنسان بالخبرة التي تمكنه من بلوغ كمالات ذاته الإنسانية، ولن يتأتى له ذلك إلا بتنمية وتوفير فرص اكتساب تطوير الخبرة الفردية والاجتماعية، مع العلم أن مجالات الخبرة ثلاث: الخبرة الحسية الحركية الخبرة المعرفية والخبرة الوجدانية، والتي نعتقد أنها لم تنل حظها من الاهتمام التربوي لدى الناشئة والتلاميذ، بل حتى عند المعلمين أنفسهم، خاصة عندنا في

<sup>17</sup> Pierre André Doudin & Denis Curchod. La compréhension des Emotions par les enseignants dans une situation de violence à l'école.



الجزائر؛ إذ لم يتلقى المعلمون تكوينا يعنى بتنمية كفاءاتهم الوجدانية خلال جميع مراحل التكوين حتى أثناء الخدمة، أو ما يسمى بالتكوين المستمر، ومن الواضح أن فاقده الشيء لا يعطيه.

إن توفير فرص اكتساب الخبرة الوجدانية الفردية والاجتماعية، ثم تصميم وضعيات تعليمية من أجل تعميقها لدى الفرد بحيث يصبح خبيرا في مجالها، ثم تجنيد جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية لتوسعها على نطاق اجتماعي كبير لتشمل جميع المجالات وجميع المؤسسات هي الكفيلة بالحد من جعل الإنسان ضعيفا أمام انفعالاته، والتربية هي التي تزوده بالأدوات التي بها يفهم انفعالاته وانفعالات الآخرين وتكسبه اللغة الفصيحة التي تمكنه من التعبير الصحيح والمناسب عن انفعالاته، وبالتالي تمكنه من فهم وإفهام الآخرين بل وتفهم عواطفهم والتعاطف معهم ثم التحرك بإيجابية نحوهم، إن توسيع الخبرة الوجدانية بحيث تصبح منفتحة على معاناة الآخرين ومشاركتهم أقراهم وأفراحهم، وما توفره التربية من فرص التعلم الاجتماعي، حقيق بأن يمد جسور التواصل والتحاور والتفاهم والتعاطف مع الآخرين، وعندما نتحدث عن التربية هنا لا نقصد المدارس فقط، بل كل المؤسسات الاجتماعية التربوية ابتداء من الأسرة إلى المدرسة إلى المسجد إلى دور الشباب والجمعيات وكل الفعاليات الثقافية بل وتشجيع كل مبادرة تجعل الإنسان يتعرف على نفسه ثم يتعرف على الآخر ويعرف نفسه بالآخر ويفسح المجال للآخر أن يعرف نفسه بنفسه، وهذا التجنيد والانخراط لجميع مؤسسات المجتمع، سيحقق بالتراكم في ظرف زمني وجيز جوا من الألفة الاجتماعية، يجعل العلاقات الاجتماعية فعالة، ويبعث دينامية إيجابية، تجعل الأمل ينبثق من جديد في نفوس الناشئة والشباب خاصة، فينأون بأنفسهم عن الانعزال أو الانسحاب عن المجتمع (الحقرة والحرقه)، بل وينخرطون في كل مبادرة للحيلولة دون الفساد، وفي بناء علاقات مثمرة ومتعاونة في سبل الخير للبلاد والعباد.

قائمة المراجع

1. باولو فرايري، تعليم المقهورين. ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، لبنان. 1980
2. حسين أبو رياش وآخرون. الدافعية والذكاء العاطفي. ط1، دار الفكر، الأردن 2006
3. د. جنسون و ر. جنسون. التعليم الجماعي والفردي، التعاون والتنافس والفردية. ترجمة، رفعت محمود بهجات، عالم الكتب، ط1، القاهرة 1998.
4. سلامة عبد العظيم حسين وطه عبد العظيم حسين. الذكاء الوجداني والقيادة التربوية. دار الفكر، ط1 عمان الأردن 2006
5. كتاش مختار سليم. مفهوم الذات وعلاقته بالتفاعل الصفي اللفظي. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر (2) 2001
6. ياسر العيتي. الذكاء الوجداني. دار الفكر، ط1، سورية 2003 .
7. Alain Berthoz. L'empire caché de nos émotions. Science et vie N°232 sept 2005.
8. Antonio Damasio. l'erreur de Descartes, raison des émotions. ed Odil Jacob, Paris 1994.
9. Baudier & B. Céleste. Le développement affectif et social du jeune enfant. Ed Nathan, 3° ed, Paris 2004
10. Céline Clément & Elisabeth Demont. psychologie du développement. Ed Dunod, Paris 2008
11. D.Chabot , M.Chabot. PEDAGOGIE EMOTIONNELLE ressentir pour apprendre .Ed trafford, Canada,2005.
12. D.Goleman and al. L' intelligence émotionnelle au travail. éd Pearson éducation, Paris 2005.
13. D.Goleman. intelligence émotionnelle. Traduction de .D. Roche. ed Robert Laffont.SA. Paris.1999.
14. Daniel Favre. L'agressivité; un déni d'émotivité. revue des sciences humaines, N°190, fev 2008 Auxerre
15. John D. Mayer, & Salovey,P. Emotional intelligence and the construction and regulation of feeling. applied and preventive psychology, 4. 197- 2008.

16. Marc A. Brackett, John Mayer and Rebecca M. Waner. Emotional Intelligence and its relation to everyday behavior. university of New Hampshire, department of psychology, 10 library Way, Durham, NH 03824, USA. [www.sciencedirect.com/science](http://www.sciencedirect.com/science)
17. Maurice J. ELIAS and AL. promoting social and Emotional Learning guidelines for Educators. Published by ASCD, Virginia 1997
18. Nico Fridja. Envahi par les Emotions. revue des sciences humaines, n°143, aout- sep 2003
19. Pierre André Doudin & Denis Curchod. La compréhension des Emotions par les enseignants dans une situation de violence à l'école. Travaux du Symposium: Emotions et compétences émotionnelles des personnels éducatifs et scolaires: quels impacts sur la pédagogie et le bien-être au travail? . actualité de la recherche en éducation et en formation, Strasbourg 2007
20. Véronique Christophe. Les Emotions. presse universitaire du Septentrion, Paris 1998